

التصريف الأيديولوجي آلية رقابية في الترجمة

Ideological Manipulation as a Censorship Mechanism in Translation

فاروق خليل الشرفي¹، سعيدة كحيل²Farouk KHELIL CHERFI¹, Saida KOHIL²¹معهد الترجمة، جامعة الجزائر 2 (الجزائر)، farouk.khelilcherifi@univ-alger2.dz²مخبر الترجمة وتعليمية اللغات، قسم الترجمة، جامعة باجي مختار - عنابة (الجزائر)، kohsaida@yahoo.fr

تاريخ النشر: 2022/12/24

تاريخ القبول: 2022/07/18

تاريخ الاستلام: 2022/06/06

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى اكتشاف الصلة بين الترجمة والرقابة والرعاية، ومدى انعكاس الأيديولوجيا على الفعل الترجمي، بوصفها نقطة التماس بين الترجمة والرقابة والرعاية، وأوجه التصريف الأيديولوجي في الترجمة، بوصفه انعكاسا لأيديولوجيا المترجم والرقاب والتراعي. باعتماد المنهج المقارن ومن أدوات التحليل، درسنا نماذج من التصريف الأيديولوجي في ترجمتين عربيتين لكتاب محمد أسد (الطريق إلى مكة). تم التوصل إلى أن التصريف الأيديولوجي، وسيلة تمكن الفاعلين من حرف الخط الأيديولوجي للنص المهدف، مما قد يحول دون تطابق هدي الترجمة والنص المصدر، فهو بذلك آلية للهيمنة الثقافية في يد مؤسسات أو أفراد موجّهين. وقد برهنت الدراسة أن ليس للمترجم دائما اليد العليا في تحديد الأهداف وضمان الحياد.

كلمات مفتاحية: أيديولوجيا، ترجمة، تصريف أيديولوجي، رعاية، رقابة.

Abstract:

This study aims to investigate the correlation between translation, censorship and patronage and the ideology reflected in the act of translation. Using comparative analysis, we studied samples of ideological manipulation in two Arabic translations of Muhammad Asad's *The Road to Makkah*. Ideological manipulation was found to be a means by which agents may deviate the ideological orientation of the target text, which may prevent the aims of translation and the source text from being identical. Hence, it is a mechanism for cultural hegemony in the hands of manipulating institutions or individuals. The importance of these findings lies in the realization that the translator does not always have the upper hand in setting aims and ensuring impartiality.

Keywords: Censorship, Ideology, Ideological Manipulation, Translation, Patronage.

1. مقدمة:

أصبح من المسلّمات في بحوث التّرجمات اعتبار التّرجمة فعل تواصل معقّد وساحة صراع على السّيطرة ووسيلة للهيمنة، حتى أصبحت الثّنائيات الشهيرة مثل: الأمانة والخيانة، والحرية والحرفيّة، والتّكافؤ الدّلالي والشّكلي، قضايا تجاوزهها الباحثون وانفتحوا على آفاق أوسع فُرِضت بتراكم سياقات عليا، مثل السّياق السّياسي والاجتماعي والتّاريخي، التي تتجاوز السّياقات النّصّية الدّنيا. لذلك تتطلّب البحوث اهتماما أكبر بمتغيّرات كثيرة تفرضها مثل هذه السّياقات.

إنّ نظاميّ الرّقابة والرّعاية - واللذان يُعدّان وجهان لعملة واحدة- لمن بين أهمّ هذه المتغيّرات، ذلك لأنّهما مظهر من مظاهر السّيطرة في المجتمع من جهة، وآليتان لفرض الأيديولوجيا في يد الفئة المهيمنة من جهة ثانية. لذلك حُقّق لنا أن نتساءل في هذه الدّراسة، أولا- عن مدى تأثير هذين النّظامين على التّرجمة. ثانيا- أن نكشف إلى أيّ مدى يمكن أن المترجم أو الرّاعي على التّرجمة وبالتالي تأثيرها على القارئ المهدف. ثالثا- أن ندرس مختلف أوجه التّصرّف الأيديولوجي في التّرجمة التي تعكس أيديولوجيا المترجم والرّاعي والرتيب.

نسعى في هذه الورقة إلى الإجابة عن التّساؤلات المطروحة آنفا من خلال معالجة عناصر نظرية أربعة، يعقبها عنصر تطبيقيّ مخصّص لتحليل ومقارنة نماذج من التّصرّف الأيديولوجي في ترجمة كلّ من عفيف البعلبكي (أسد، 1997)¹ وترجمة رفعت السيد عليّ (أسد، 2004، 2010)² لكتاب الطريق إلى مكّة *The Road to Makkah* (Asad, 2004) للمفكّر محمد أسد³. يعالج العنصر الأوّل موضوع الرّقابة لتحديد ماهيتها وأنواعها، ويعالج العنصر الثّاني مفهوم الأيديولوجيا وعلاقتها باللّغة عموما والتّرجمة بشكل خاصّ؛ أمّا العنصر الثّالث فمخصّص لعرض التّصرّف الدّاخلّي والخارجيّ (الأيديولوجي)، وجاء العنصر الرّابع لتبيين صلة التّصرّف الأيديولوجي بنظاميّ الرّعاية والرّقابة. شملت الدّراسة تحليل ومقارنة نماذج من التّصرّف الأيديولوجي، صنّفت تحت عناوين فرعيّة، حسب نوعها، وختمنا الورقة بخلاصة عرضنا فيها نتائج الدّراسة، وكانت الغاية منها تسليط الضوء على عاملين خارجيّين غير لغويّين، لهما تأثير ظاهر على الفعل التّرجميّ وعلى متلقّي التّرجمة.

¹ اعتمدنا على الطبعة التاسعة لهذه الترجمة التي نشرتها دار العلم للملايين سنة 1997، وهي طبعة خاصّة نشرت بالسعودية.

² اعتمدنا على الترجمة التي نشرتها مكتبة عبد العزيز العامة بالرياض سنة 2004، والتي تمّت بالتعاون مع مؤسسة التّراث، والطبعة التي نشرتها منشورات الجمل، سنة 2010، ببغداد وبيروت، والتي نفترض أنّها نفسها الطّبعة التي نشرها المجلس الأعلى للثقافة بمصر، لاستحالة الحصول على هذه الأخيرة. مع العلم بأنّ الطبعة التي نشرها هذا المجلس سُحبت من السّوق بطلب من مؤسسة التّراث بحجة اخلال المترجم رفعت السيد عليّ لحقوق النّشر.

³ محمّد أسد مفكّر إسلاميّ، ودبلوماسيّ وصحفيّ، يهوديّ الأصل والتنشئة. ولد في 1900 بالإمبراطوريّة التّمسّاوية، واسمه الأصليّ Leopold Weiss. طاف بكثير من الأمصار العربيّة والإسلامية، كمراسل ومحرّر صحفيّ، وبعد إسلامه سنة 1926 وأدائه مناسك الحجّ، وحظي بصداقة وثقة عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربيّة السعوديّة، ثم أصبح مستشاره. وساهم بمعيّة محمّد إقبال في قيام دولة باكستان، ولثقتهم به مُنح الجنسيّة الباكستانيّة وعيّن وزيرها المفوض بمبعثة الأمم المتّحدة حتى عام 1952. اهتم أسد منذ فتوته بالشرق وخاصة العرب وفلسطين، فكان سببا في تغيير مجرى حياته وقناعاته. دافع عن الإسلام بالرّد عن الشّبهات المثارة حوله، وكانت خلفيّته الثقافيّة العربيّة واليهوديّة أثر بالغ في تعميق قناعاته بالإسلام وإدراكه لمسائير الثقافة الغربيّة. تفرّغ في آخر حياته للتّأليف والكتابة والتّرجمة، ويعتبر كتابه "الطريق إلى مكّة" *The Road to Makkah* من أهمّ ما كتب. توفيّ محمد أسد بميخاس الإسبانيّة سنة 1992 ودُفن بالمقبرة الإسلاميّة بغرناطة، انظر: (الشنقيطي، 2016).

2. الرقابة (الماهية والأنواع):

إنّ ارتباط الترجمة بمجال الطباعة والنشر حتم تعرضها لمؤثرات غير لغوية تفرضها التجاذبات والصراعات على السلطة والهيمنة. ومن بين هذه المؤثرات نُظم الرقابة يختلف أنواعها، والتي قد يخفي أثرها على القارئ. سنحاول في هذا القسم تحديد كنه الرقابة وأنواعها وصور ارتباطها بالسلطة والهيمنة في المجتمع. سيساعدنا هذا على بلوغ إدراك أعمق وفهم أفضل لتأثيرها على قرارات المترجم؛ وبالتالي على النصّ الهدف وعلى المتلقي.

1.2 تعريف الرقابة:

إنّ الرقابة ظاهرة إنسانية قديمة ومعقدة للغاية، والجدل حول تعريفها وتحديد كنهها قديم كذلك. ويرجع هذا التعقيد إلى تشابك هذه الظاهرة عمودياً مع شتى الميادين والمجالات والظواهر، كالسياسة والإعلام والأيديولوجيا والقيم والدين، وتنوعها أفقياً عبر الحقب التاريخية وفي مختلف الأماكن والبلدان. إضافة إلى هذا التعقيد فقد تنوّعت الآراء بشأنها بين مؤيد ومعارض، وازداد الاهتمام بها في العقود الأخيرة وفقاً لما استجدّ من مقاربات وفلسفات وتخصّصات، منها الترجميات، خاصة منذ ما يسمّى بالمنعطف الثقافي.

ورغم تشعب ظاهرة الرقابة تبقى بعض جوانبها ثابتة مهما اختلفت الحقب التاريخية والبلدان، وهو ما يسمح بتعريفها تعريفاً إجرائياً. يُقصد في الاستعمال الشائع لمصطلح رقابة ومقابله بالإنجليزية censorship مهمة المراقبة أو الإشراف أو التحكم التابع من سلطة ما، والذي يطال إنتاج المعلومات والمعارف والأفكار وتداولها في مجتمع ما، قد تكون ذاتية ودون تدخل مباشر صريح من مؤسسة أو شخص ذي نفوذ. وتُجمع القواميس العربية العاة على حصر تعريف الرقابة في مهنة من يراقب المنشورات، كالصحف والكتب والأعمال الفنية قبل نشرها، (نظر: المعجم الوسيط، 2005). ولا يختلف حال القواميس الإنجليزية، حيث جاء تعريف الاسم censor أنّها مهنة من يتفحص المطبوعات والأفلام وغيرها من أجل حذف ما يُعتبر مسيئاً أو مخالفة للأخلاق أو ما يمثل تهديداً سياسياً، (انظر: The Merriam-Webster Dictionary, 2004). وبشكل عامّ، تتجلى الرقابة في كل مظاهر السلطة، ولكنها اكتست أهمية خاصة في زمننا بسبب ارتباطها بقطاع الحكومة وسيادة القانون (Anastaplo, n.d.). أمّا الاسم censor فهو لاتيني الأصل مشتق من الفعل censere الذي يعني قيم أو قدر، وكان أول ظهور لهذه المهنة في روما، حيث كانت مهمة الرقيب في الأصل إحصاء السكان، ثم مراقبة الأخلاق والسلوك (Green & Karolides, 2005, p. xviii).

إنّ تعدّد محاولات تعريف الرقابة وتحليلها علمياً وفي مجالات مختلفة، أدّى إلى تضارب الآراء، حتى صار من العسير تحديد ما يمكن بحقّ أن يطلق عليه وصف رقابة، وبالتالي فإنّ إدراج ممارسات كثيرة تحت مظلة الرقابة، ليؤدّي إلى تشويه بالغ للمفهوم القديم والأصلي، وأنّ محاولات إعادة التعريف والتحليل أدّى إلى إثقال المصطلح أو حتى تسخيفه (Burt, 1994, p. xiii)، أو تسويته بأشكال أخرى من الضبط الاجتماعي (Müller, 2004, p. 1).

2.2 الرقابة والسلطة والهيمنة:

تتميز الكثير من الدراسات -خاصة القديمة- بتحليل الرقابة بوصفها ظاهرة سلبية وحصرها في نطاق ضيق من الممارسات الإدارية التي تضطلع بها مؤسسات حكومية، سرية أو غير سرية، تتحكم وتراقب ما يتم نشره في مجال الفن والأدب والإعلام والعلوم. ويعتقد المؤرخ الروسي المختص في تاريخ الرقابة في الاتحاد السوفياتي، أرلان بليوم Arlen Blum (2008) في هذا الشأن أن الرقابة شر محض، لا تنم عن أي شيء إيجابي، بل هي أبشع ما ابتكر الإنسان، خاصة في الصورة التي كانت عليها في الاتحاد السوفياتي، إذ يعرفها بأنها نظام مراقبة شامل وممنهج وأحادي الاتجاه تتحكم فيه الدولة، في البلدان المتبينة لأنظمة العلمانية، أو الكنيسة الرسمية في البلدان المنتهجة للأنظمة التيقراطية، غايته السيطرة على عمل مؤسسات الإعلام من خلال تدابير تتسم بالعنف. لا يرى بليوم Arlen Blum (2008) الرقابة متجسدة إلا في شكل مؤسسة، وفي مكتب مخصص، وهي قيد الإبداع، ونقيض الحرية التي تعتبر ضرورية، كضرورة الماء للسمك. نجد في المقابل أن المحاولات الحديثة لتحليل هذه الظاهرة وتحديد أشكالها، التي لم تحصر الرقابة في الممارسات القمعية المؤسسية، قد انطلقت من المفاهيم الجديدة للسلطة التي جاء بها ميشيل فوكو Michel Foucault، فأخرجت الرقابة من التصور التقليدي. لقد أصبحت هذه البحوث المتأخرة، تعتبر الرقابة ظاهرة اجتماعية وثقافية تتأثر بكل ما يؤثر في السلوك عموماً، وإنتاج الخطاب بصفة خاصة.

إن التصور التقليدي للسلطة القائم بوصفها قوة قمعية مقيّدة للحرية تحتكرها مؤسسة ما حسب فوكو Foucault (1982) أمر غير صحيح، إذ يرى أنه لا يمكن اختزال السلطة في وظيفة إصدار الموافقات الضرورية لإنجاز عمل ما، ولا هي عملية مصادرة للحرية وللحقوق، ولا هي حكر على فئة قليلة من الناس. وعلى اعتبار أن الرقابة شكل من أشكال السلطة ووظيفة مهمة من وظائف الدولة في المجتمعات الحديثة، فإن كثيراً من الباحثين المعاصرين قد بنوا على التصور الجديد للسلطة الذي أتى به فوكو الذي يؤكد أن للسلطة طابعاً توليدياً إنتاجياً؛ إذ إنها المسؤولة عن توليد اللذة والمعرفة والخطاب، وهي في تصوّره شبكة إنتاج ممتدة في المجتمع بكافة مكوناته، تضم أشكالاً عديدة ومتباينة من الفاعلين (Foucault, 1980).

وانطلاقاً من اعتبار الرقابة صورة من صورة ممارسة السلطة؛ أي أن من يمتلك سلطة الرقابة على إنتاج الخطاب مثلاً، فهو ضمن هذه الشبكة، التي تضم أيضاً فاعلين آخرين مثل الكتاب والنashرين والمراجعين والإعلاميين والقراء؛ لم يعد تحليل الرقابة داخل منظور الحرية والقمع الضيق؛ إذ إن وجود قيود على التعبير والإبداع ضرورة، فلا يُتصور أن يتم إنتاج خطاب ما دون وجود شعور داخلي يملئ على منتجه ما يمكن قوله وما لا يمكن، وبالتالي فإن وجود خطاب ما، شكلاً ومضموناً، مرتبط بالقيود التي أنتج فيها، ولا يمكن أن يكون مختلفاً في وجود القيود ذاتها.

يتوافق طرح فوكو حول القدرة التوليدية للسلطة، مع طرح بيير بورديو Pierre Bourdieu، الذي يرى أنه من أجل فهم أفضل لميكانيزمات الرقابة، ينبغي دراسة علاقتها بما يسمى التّطبع Habitus، الخاصّ بالحقل Field الذي يوجد فيه منتج الخطاب (Billiani, 2007, p. 6). ويشير مصطلح الحقل عند بورديو (1991) إلى الفضاءات

الاجتماعية التي تقوم أساسا على نشاط محدد، مثل: حقل الصحافة، والأكاديميا، والسياسة والتجارة. وتجمع بين الفاعلين داخل كل حقل تنافس يسعى فيه كل فاعل إلى بلوغ مواقع السيطرة. ويشير بورديو (1991) بمصطلح التّطبع *Habitus*، إلى مجموع الاستعدادات النفسية لدى الفاعل الاجتماعي والتي تشكل طبعه؛ إذ هي التي تتحكم في سلوكه. ما يميّز هذه الاستعدادات هي أنها تُكتسب تدريجيا عن غير وعي، من خلال غرسها منذ الولادة بفعل الظروف الاجتماعية المحيطة. تؤدي هذه الاستعدادات المكوّنة للتّطبع إلى توليد ممارسات ومدارك وسلوكات لا حصر لها، تتسم بالانتظام، مما ي التنبؤ بها وبمآلاتها أمرا ممكنا. وتبعاً لهذا الانتظام، يمكن لهذه الاستعدادات المكوّنة للتّطبع أن تعكس الظروف الاجتماعية التي اكتسبت فيها. وبما أنها تكتسب بشكل غير واع فإنها تتميز بالرسوخ واستعصائها على التغيير والانتقاد. وهكذا يعتبر التّطبع مبدأً توليدياً وتنظيمياً في الآن ذاته (Bourdieu, 1979)، فهو أساس جميع الممارسات الثقافية المادية وغير المادية.

من المؤكد أنّ إنتاج الخطاب وتداوله من الممارسات الثقافية، وهو خاضع إلى بنية الحقل الذي يُنتج ويُتداول فيه. ويعتقد بورديو Bourdieu (1991) أن إنتاج الخطاب داخل في علاقة جدلية بين رغبة الفاعل في التعبير وبين القيود التي يفرضها الحقل؛ وهذا بالذات ما يطلق عليه مصطلح الرقابة البنوية، إذ إنّ هذه الرقابة هي التي تتحكم في شكل الخطابات ومضامينها، وهكذا فإنّ منتج الخطاب خاضع إلى بنية الحقل وما تفرضه من معايير تقيد الشكل والمضمون معاً، ومن المستحيل أن يتم إنتاج خطاب خارج هذه المعايير المقيّدة المتعارف عليها داخل ذلك الحقل. إضافة إلى هذا يذهب بورديو Bourdieu (1991) إلى القول بأنّ هذه الرقابة البنوية تحدّد كيفية تلقّي الخطاب وقبول الفاعلين المنتمين إلى الحقل ذاته له، فلا يكون خطاب ما سياسياً بحقّ إلّا إذا وافق شكله ومحتواه المعايير التي اصطلح عليها أهل السياسة.

إنّ مفهوم التّطبع *Habitus* ذو أهمية كبيرة في فهم آليات إنتاج النصوص وتلقيها؛ وهذا يقتضي أنّ أيّ تصريف من قبل أفراد أو مؤسسات تتمتع بسلطة رقابية خاضعٌ خضوعاً نسبياً إلى توقّعات وأذواق وقيم القراء، وليس لمنتج النصّ فقط، تبعاً لموقع هذا الأخير ومكانته الاجتماعية. فكلّما زاد استيعاب الفاعل لأشكال الإدراك والتعبير كلّما قلت الحاجة إلى الاعتماد على الرقابة في أشكالها الأكثر وضوحاً، تلك الصادرة عن المؤسسات الرسمية التي تمارس الحظر والمنع الصريح (Bourdieu, 1991). لذلك فإن القدرة على التصريف في نصّ ما متوقّفة على المكانة التي يحتلها الفاعل داخل البنية التي يشكّلها التّطبع داخل الحقل، والتي تكون متراوحة حسب درجة خضوعه أو هيمنته، وحسب موقعه ومهمته في عملية إنتاج النصوص، كأن يكون مترجماً أو مؤلفاً أو ناشراً أو هيئة سياسية (Billiani, 2007, p. 11).

وبناءً على تحليلي فوكو وبورديو فإنّه لا يمكن إنكار أن تكون الرقابة وسيلة قمعية فحسب، ولكنها وسيلة مولّدة للخطابات، لأنّها دائمة الحضور في ذهن الفاعل، إلّا أنّ التّحقّق من وجودها وتأثيرها أمر غير ممكن، لأنّها قد تتجاوز صور التّحكم المنظّم (Billiani, 2007). أمّا في الترجمة، فليس من السهل دائماً رصد الرقابة، لأنّها قد تتجلى في التصريف الناتج عن أوامر علوية سلطوية مهيمنة، أو عن المترجم في حدّ ذاته، لأغراض عديدة من أبرزها حرمان فئة ما من

الوصول إلى المعلومة، أو لأجل إخفاء الحقائق وتزييفها، وقد تكون الرقابة خفية موافقة لقيم القارئ الهدف وأذواق، والتي يتبنّاها المترجم بوعي، أو عكس ذلك، لجعل الترجمة أكثر قبولاً وأيسر فهمًا.

3.2 أنواع الرقابة:

تتجسد الرقابة حسب تحليل بورديو في صورتين: أولهما - رقابة خفية، وهي ما يسميه بالرقابة البنيوية، والثانية - رقابة ظاهرة تتمثل في الرقابة التي تمارسها المؤسسات أو الأفراد بصفة صريحة، نابعة من تنافس مختلف السلطات في المجتمع، سواء كانت بمقتضى قوانين وتشريعات مكتوبة أو غير مكتوبة.

ومن منظور إجرائي، تقسم براونلي Brownlie (2014) الرقابة إلى ثلاثة أنواع: أولاً - رقابة حكومية public censorship، تمارسها مؤسسات حكومية بمقتضى قوانين خاصة، وتكون قبل نشر الأعمال أو بعدها، ثانياً - رقابة بنيوية structural censorship، وهو ذات التصور الذي اقترحه بورديو، وثالثاً - رقابة ذاتية self-censorship، وتكون قبل النشر لرغبة الفاعل - المترجم مثلاً - في تجنب الرقابة الحكومية، طوعية أو من أجل الظفر بقبول القطاع المهيمن في المجتمع، وقد تجتمع الغايتان. تكون الرقابة الذاتية عن وعي، وتكون عن غير وعي حينما يتطبع الفاعل بالمعايير السائدة.

يقدم الروائي والتأقّد والمترجم الجنوب إفريقي كوتزي Coetzee (1996) تقسيماً مشابهاً لتقسيم بورديو، فيميز بين نوعين من الرقابة: أولاً - رقابة مؤسّساتية institutional censorship، وهي رقابة خارجية تحدّ من حرية الكتاب، ويُقدّر أنّها سلبية، تفرضها الدولة بقوة القانون، ثانياً - رقابة ذاتية self-censorship، وهي رقابة خفية، وهي في تقديره من بين الضغوطات الكثيرة التي تحدّ من حرية الكتاب. تنشأ الرقابة الذاتية عندما تنجح الرقابة المؤسّساتية في فرض رؤاها وقواعدها على الكتاب، حتى يتقمّص الكاتب شخصية الرقيب فيقرأ نصّه بعيني الرقيب (Coetzee, 1996).

الرقابة ظاهرة إنسانية واجتماعية وطيدة الصلة بمجالات عديدة، كالآدب والفنّ والثقافة والسياسة والدين والأخلاق، فبالرغم من تشعبها وتغلّوها إلّا أنّها في تقدير كلّ من جرين وكاروليدز (Green & Karolides 2005)، تنبع من شيء واحد وهو الخوف، وعلى هذا الأساس وفي ضوء ما سبق من عرض لمختلف التعاريف والتقسيمات والتحليلات الفلسفي، يمكننا تلخيص أنواع الرقابة كما يلي:

أ - الرقابة الوقائية preventive censorship: وهي رقابة قبلية تُخضع لها النصوص قبل نشرها، تقوم

بها عادة مؤسسات حكومية بمقتضى قوانين خاصة أو تعليمات تصدرها أطراف مهيمة في المجتمع. يندرج هذا النوع من المؤسسات فيما يسمّيه ألتوسير Althusser (1971) أجهزة الدولة الأيديولوجية

Ideological State Apparatuses.

ب - الرقابة العقابية punitive censorship: وهي رقابة بعدية تُخضع لها النصوص بعد نشرها، تتجسّد

عملياً في إجراءات كثيرة، مثل المتابعات القضائية ومصادرة المنشورات وإتلافها، وقد تطلّ المؤلف نفسه

بسجنه أو إعدامه أو اغتياله. تقوم بهذا مؤسسات حكومية كثيرة تدرج فيما يسميه ألتوسير Althusser

(1971) أجهزة الدولة القمعية Repressive State Apparatuses.

ج- الرقابة الذاتية self-censorship: وهي رقابة يفرضها منتج النص على نفسه، عن وعي إذا كان ناجما عن الخوف من الرقيب أو من الإجراءات العقابية أو خوفا من تلطخ السمعة أو ثقبة من الضرر الذي قد يلحق قراء النص؛ أو عن غير وعي عندما يتشرب منتج النص المعايير التي تشمل القيم والمبادئ التي تفرضها الفئة المهيمنة في المجتمع والتي تسيطر على مؤسسات الدولة الأيديولوجية.

3. الأيديولوجيا واللغة والترجمة:

من المهم في هذا البحث التطرق إلى طبيعة العلاقة بين عناصر ثلاثة مهمة، وهي الأيديولوجيا التي تنتمي إلى عالم الأفكار، وبين اللغة عموما بوصفها الوسيلة التي يعبر بها عن الأفكار وبين الترجمة بوصفها شكلا من أشكال التواصل بين البشر. سنتطرق أيضا إلى حتمية التحيز في إنتاج الخطاب عموما والترجمة بوجه خاص.

1.3 الأيديولوجيا وعلاقات السلطة والخطاب:

تجمع بين اللغة والأيديولوجيا عروة وثيقة. إذ تُعد اللغة من منظور اجتماعي عنصرا ضروريا لقيام التفاعل بين البشر، وذلك لأن هذا التفاعل إرادي وذو معنى، بخلاف التفاعل الغريزي بين الحيوانات، أو الكيميائي بين النباتات. يُعتقد أن امتلاك البشر القدرة على التفاعل في الوسط الاجتماعي قائم على امتلاكهم قدرة التواصل بواسطة اللغة، أي أن التفاعل يقتضي عقلا وجود لغة مشتركة (Edgar, 2006).

أما عن علاقة اللغة بعالم الأفكار، وخاصة الأيديولوجيا، فهي أيضا علاقة وطيدة، حسب تومسون Thompson (1984) وبالزبي (2002) Belsey؛ إذ إن الأفكار لا تمثل كيانا مستقلا عن اللغة ولا تسبح في فراغ، بل تتداول وتنتشر بواسطة اللغة التي هي وعاءها، وبالتالي تعد دراسة الأيديولوجيا دراسة للغة في البيئة الاجتماعية. ويؤكد فيركلوف Fairclough (1989)، الذي ينحو هو الآخر هذا المنحى، أن الخطاب هو الوسيلة المثلى لنقل الأيديولوجيا.

يمكننا القول هنا أن الخطاب انعكاس لأفكار وافتراضات وقناعات منتجة، إذ يؤكد حاتم Hatim (1997) أن الخطاب ناقل مهم لما يسميه المعاني العاكسة للمواقف attitudinal meanings، بصفة عامة وللأيديولوجيا بصفة خاصة، إذ إن التعبير المؤسسي institutional expression، حسب اصطلاحه، والذي يعني به الخطابات الصادرة عن المؤسسات الحكومية، مشبعة بهذه المعاني العاكسة للمواقف، فيعتقد حاتم Hatim (1997) بناء على هذا أن تحليل الإيديولوجيا والمعاني العاكسة للمواقف إنما هو تحليل لبنى لغوية.

إن تحليل الأيديولوجيا ينصب أساسا على كشف التقاطعات الموجودة بين السلطة والمعنى، حيث يدعي تومسون Thompson (1987) أن دراسة الأيديولوجيا إنما هي بحث في الطرق التي يُوظف بها المعنى للحفاظ على علاقات الهيمنة. ونظرا للارتباط الوثيق بين اللغة والأفكار عموما وبين اللغة والأيديولوجيا بشكل خاص، فإنه من الممكن الجزم بحتمية تحيز كل الخطابات واحتوائها على كثير من الأحكام المسبقة والآراء الصادرة عن الجماعة اللغوية والثقافية المنتجة

له؛ وبالتالي يمكن الجزم بانعدام الحياد، ويضيف فيركلوف Fairclough (1989) بأن ممارسة السلطة في المجتمعات الحديثة تتم من خلال الأيديولوجيا، بواسطة المكنزمات الأيديولوجية الكامنة في اللغة.

وبالنظر إلى التعقيدات الإضافية التي يفرضها التواصل عبر الترجمة، ذهب كل من حاتم ومايسن Hatim & Mason (1990) إلى اعتبار أن من متطلبات تحليل الترجمة البحث فيما يتجاوز الحدود اللغوية الضيقة للترجمة، مؤكدين على أن فعل التواصل الترجمي يتم تحت ضغوطات تفرضها ظروف التكيف في المجتمع الذي ينتمي إليه المترجم، والذي يتفاوض بشأن المعنى كوسيط بين منتج النص الأصلي وقارئ النص الهدف، بسبب الفروقات الموجودة بين البيئتين الاجتماعيتين المصدر والهدف.

2.3 حتمية التحيز وأدلجة الفعل الترجمي:

كان من نتائج الاهتمام المتزايد بالبعد الثقافي في الترجمة بداية من تسعينيات القرن العشرين، تحول اهتمام المترجمين والباحثين في مطلع الألفية إلى موضوع السلطة في الترجمة، وهكذا لم تبق دراسات الترجمة رهينة الرؤية المحصورة في نقل الرموز اللغوية وتحقيق التكافؤ وقياس مداه؛ بل أصبح اهتمام الكثير من الباحثين بمساهمة الترجمة والمترجمين المعترف في قيام السلطة الإمبريالية وحمايتها أو مقاومتها (Tymoczko & Gentzler, 2002)، وهذا هو مجال هذه الدراسة.

وإذ زاد الوعي بما يخضع إليه فعل الترجمة من متغيرات لغوية وغير لغوية، منها ما يشكل عوائق لا مناص للمترجم منها، تؤثر على قراراته، ينفي العديد من المترجمين والباحثين، مثل حاتم ومايسن Hatim and Mason (1997) وجود الحياد في الترجمة، ويؤكدون على حتمية التحيز. يستلزم هذا الموقف الإيمان بأن التكافؤ المطلق غاية بعيدة المنال، رغم الانطلاق من نص مصدر. وبما أن فعل الترجمة لا يتم في فراغ، يندر جدًا أن يتطابق النص -الهدف والمصدر- تطابقًا مطلقًا؛ وبالتالي فإن الانطلاق من النص المصدر فقط أمر نسبي (Díaz Cintas, 2012).

ومن جهة أخرى، يعتقد غير باحث ومترجم أن الترجمة فعل متحيز بطبيعته، إذ ترى ليو (1995) Liu أنه لم يعد يُنظر إلى الترجمة على أنها حدث معزول عن تأثيرات المصالح السياسية والأيديولوجيات المتضاربة. ويؤكد غنتسلر وتيموتشكو Gentzler and Tymoczko (2002) على اتصاف الترجمات بالنقص مقارنة بالمصدر، فيعتقدان على هذا الأساس أن هذه الصفة هي ذاتها ما يجعل الترجمة فعلاً متحيزاً ومتحيزاً ومدافعاً عن قضايا سياسية أو اجتماعية أو أيديولوجية، سواء كان هذا معلناً أم مضمراً.

ويمكن القول أن تطابق النصين الهدف والمصدر، حتى لو افترضنا امكانية حدوثه، فلن يكون إلا شكلاً من أشكال التحيز لجهة أو رأي أو عقيدة أو ثقافة دون غيرها، وقد يتم اختيار الحياد تجاه النص المصدر عن تحيز لرأي مؤلف النص المصدر. قد يكون هذا التحيز مقصوداً وقد يكون عن غير وعي. لا يمكن أن نعزو هذه الحتمية إلا إلى السبب الرئيسي المتمثل في تلك العلاقة المتينة القائمة بين اللغة والأيديولوجيا، كما بينّا سابقاً.

وتقتضي حتمية التحيز، حتمية أدلجة الفعل الترجمي، فهذا التحيز يحدث على شكل متتالية من القرارات تتدافع فيها مختلف المتغيرات المؤثرة على القرارات؛ إذ تبدأ باختيار ما يُترجم والمترجم، وهدف الترجمة، وصياغة التعليمات،

والتصريف وعدمه، مروراً بسلسلة المراجعات والإعداد إلى غاية الطباعة، والترويج للنص من قبل المكتبات والمؤسسات التعليمية، التي تمارس أشكالاً أخرى من التحيز المتمثل في الانتقائية في اختيار النصوص لجمهور القراء.

ومن الممكن أن يعتمد المترجم إحداث تصريفات على النص المصدر، ومن الممكن أن يفرض عليه ذلك، وبالنظر إلى تعدد الفاعلين المتدخلين في فعل الترجمة، لا يمكن تجاهل دور الراعي أو الرقيب أو المراجع أو غيرهم من أصحاب التأثير والتفوذ، بهدف توجيه فعل الترجمة تبعاً لخطأ أيديولوجي ما. لذا يمكن القول أنه بقدر ما تفتح الترجمة آفاقاً معرفية وثقافية جديدة، بقدر ما هي ساحة صراع بين سلطات متعددة ومصالح متضاربة.

فضلاً عن ذلك، إن ما ينتجه المترجم من نصوص انطلاقاً من مدونات أخرى، لا يمكن أن يتصف بالموضوعية المطلقة؛ إذ إن فعل الترجمة يتأثر على نحو نسبي، بهدف الترجمة المحدد مسبقاً، وبقراءة المترجم للنص المصدر وجرأته على تأويل معانيه، وتجاهل قصد المؤلف، والتي تخضع في حد ذاتها إلى معارفه وخبراته إلى جانب خلفياته المعرفية والاجتماعية والعقدية والأيديولوجية، فالترجمة ليست مجرد عملية استنساخ لنص أصلي؛ بل هي فعل واع يشمل انتقاء المعلومات وتجميعها وهيكلتها وتلفيقها، وقد يصل في بعض الحالات إلى حد التزوير ورفض المعلومات وتزييف الحقائق وإنشاء الرموز السرية (Tymoczko & Gentzler, 2002).

4. التصريف الداخلي والتصريف الخارجي في الترجمة:

إن سعينا في هذه الدراسة إلى تحليل تأثير أيديولوجيا المترجم وراعي الترجمة، لا بد أن يعتمد على تحليل بني لغوية، تعكس مختلف مستويات التصريف الحاصل وأنواعه من جهة، وعلى الوعي بالسياقات غير اللغوية التي أُنجزت فيها الترجمة، مثل السياق السياسي والاجتماعي من جهة أخرى.

يُميّز فرغل (Farghal, 2008, 1993) بين نوعين من التصريف في الترجمة: التصريف الداخلي *intrinsic* والتصريف الخارجي *extrinsic managing*. يشير التصريف الداخلي، حسب فرغل (Farghal, 2008, 1993, 2013) إلى التغييرات التي لا غنى للمترجم عن إحداثها، على مختلف المستويات اللغوية (الصوتية والدلالية والتركيبية والتداولية والنصية والثقافية) بسبب انعدام التماثل والتطابق بين اللغتين المصدر والهدف، ويُقدّر أنّ هذا النوع من التصريف ضروري لأجل تحقيق ترجمة سليمة ومفهومة ومتسقة مع نوااميس اللغة والثقافة الهدف، وبدونه تكون الترجمة مبهمة أو ركيكة على أقل تقدير، لا تؤدي وظيفتها التواصلية كما ينبغي. ويشير التصريف الخارجي، حسب فرغل (Farghal, 2008, 1993, 2013) أنه ينتج عندما يتدخل المترجم فكرياً في النص، تدخلاً واعياً ومقصوداً. يمكن التصريف الخارجي المترجم، وغيره من الفاعلين المساهمين في عملية التواصل الترجمي، من الربط بين أيديولوجيتهم وأهدافهم. يختلف مقدار التصريف الخارجي ودرجته من نص لآخر، ومن موقع في النص لآخر، ويتراوح بين مستويات لغوية دنيا، كالمستويين المعجمي والتركيب، ومستويات عليا، كالمستويين الخطابي والثقافي (Farghal, 2012).

1.4 التّصرّف الأيديولوجي في الترجمة:

نعتبر أن التّصرّف الدّاخلّي غير ذي صلة بهذه الدّراسة نظرا لطبيعة المدوّنة والإشكاليّة، لذلك سننظر إلى أوجه التّصرّف الخارجيّ -الأيديولوجيّ- بتفصيل أكثر في هذا الجزء من الورقة.

يرى فرغل (Farghal, 2003, 2012, 2008) أن غاية لجوء المترجم إلى التّصرّف الخارجيّ هو التّدخل الفكريّ في محتوى النّص ورسالته؛ إذ يعدّه تصرّفًا أيديولوجيًا. وعلى اعتبار أنّ الأيديولوجيات تمثّل أنساق فكرية أو تصوّرات مشتركة بين أفراد جماعة معيّنة أو مجتمع ما، وهي أساس تشكيل وتنظيم هويّتهم وأفعالهم وأهدافهم وقيمهم ومواردهم وكذا علاقاتهم بالجماعات الأخرى (van Dijk, 1996, 2002, 2006)، فإنّ لها انعكاسا على شتى ممارساتهم في السياقات الاجتماعيّة، وخاصّة في إنتاج الخطاب وتداوله؛ إذ إنّ الخطاب في حدّ ذاته وسيلة لتناقل الأيديولوجيات واكتسابها وإعادة إنتاجها وتأكيدّها وتغييرها (van Dijk, 2006). إضافة إلى هذا، تعدّ الأيديولوجيا، حسب فان دايك (van Dijk, 2002)، الذي اعتمد فرغل تعريفه للأيديولوجيا أساسا لتحديد مفهوم التّصرّف الأيديولوجيّ، واحدة من التّصورات الاجتماعيّة المتحكّمة في الخطاب. ويؤكد فان دايك (2006) أنّ العلاقة بين الأيديولوجيا والخطاب معقّدة وخفيّة في كثير من الأحيان، فقد يتعمّد منتج الخطاب إخفاء توجّهاته الأيديولوجية، وهذا يعني أن الخطاب قد لا يعكس بوضوح الأيديولوجيات الكامنة فيه؛ بل يُعتمد حالئذ على مختلف السياقات اللّغوية وغير اللّغوية لتتّقيه وتحليله، وإذا لا توجد بُنى لغوية ذات طبيعة أيديولوجية في أصلها، فإنّ تجلّي التّوجّهات الأيديولوجية للمؤلّف أو المترجم قائم على التّوظيف الخاصّ للبنى اللّغوية في ظروف سياقيّة خاصّة.

خلاصة القول هي أنّ التّصرّف الدّاخلّي إمّا هو تطويع محمود للنّص؛ بينما التّصرّف الخارجيّ فهو تدخل فكري يهدف إلى التحكم في المعلومات التي يقدمها النّص الهدف لأسباب عديدة ومتباينة من حالة لأخرى. فإذا كان من البدهي أن يوصف التّصرّف الدّاخلّي بأنّه فعل محمود وضروريّ لأنّه ممّا تتطلبه الترجمة السّلسلة، فإنّ التّصرّف الخارجيّ، ولأنّه تصرّف أيديولوجيّ، فقيّمته بين الحمد والدّم، والضرورة والاختيار نسبيّة؛ لأنّ ذلك متعلّق بعدّة عوامل أهمّها غايته ونتائجه وتأثيره على القارئ. لذا يمكن القول بأنّ أيّ تصرّف أيديولوجيّ، "بغض النظر عن صغره، قد ينضوي على حركة أيديولوجية تفوق أهميّتها حجمها بكثير" (فرغل، 2013، صفحة 5)، وبالتالي فإنّ الترجمة بقدر ما تفتح آفاقا معرفيّة وثقافيّة جديدة، بقدر ما قد يصير ساحة صراع بسبب سعي أفراد أو مؤسسات إلى ممارسة الهيمنة الثقافيّة أو التّكّيم أو الإدماج الثقافيّ أو التّعتيم على الحقائق أو الدّعاية، إذا كان التّواصل عبر فعل الترجمة في اتجاه واحد نازل من الأقوى إلى الأضعف ومن الطرف المهيمن باتجاه الطرف الخاضع (Díaz Cintas, 2012, p. 282).

يشتمل التّصرف الأيديولوجيّ في المستوى الصّوتي، خاصة في المجال السّمعّي البصريّ في التّعليق الصّوتيّ أو السّترجة، حسب فرغل (Farghal, 2003, 2008, 1993) على تغيّرات مثل إدراج لكّنات دخيلة عن جمهور المشاهدين. يمكن لهذا أن يؤدّي إلى تمكين المشاهدين من التّمييز بين المحليّ والدّخيل؛ وبالتالي ترسيخ الصّور التّمطيّة التي تميل إلى التّميّز العرقي (Steffensen, 2012).

أما التصريف الأيديولوجي على المستوى المعجمي فشائع، ويمكن اقتفاؤه في الترجمة بتحليل الخيارات المعجمية؛ فقد تكون لفظة ما "تمثل عقيدة فكرية مختلفة عما تمثله لفظة أخرى" (فرغل، 2013، صفحة 6). وقد يكون هذا التصريف بزيادة ألفاظ أو عبارات أو جمل بعينها أو استبدالها بغيرها أو حتى حذفها تماما. ليس هذا فحسب، قد يكون التصريف في هذا المستوى بتقديم لفظة أو عبارة أو تأخيرها.

يتجلى التصريف الأيديولوجي على المستوى التركيبي "في عناصر لغوية مختلفة منها الفاعلية agency والظنية/الوجوب modality والتوكيد evaluativeness/emphasis وغيرها" (فرغل، 2013، صفحة 12)؛ إذ يمكن حذف أو إضافة أدوات التوكيد، ويمكن بناء الجملة للمجهول لإخفاء الفاعل وتبرئته.

يعتقد فرغل (Farghal 1993, 2008, 2013) أن ما يميز التصريف الأيديولوجي على المستوى الخطابي والثقافي، استعصاء تحديد عناصره اللغوية، ويعزو هذا إلى أنه لا يقتصر على وحدات لغوية بعينها؛ ولكنه شامل لكافة أجزاء النص، فقد يتم باستبدال مفردات أو عبارات بأخرى، وقد يشتمل إضافة ألفاظ أو عبارات أو جمل لا توجد أصلا في النص المصدر، وقد يصل المترجم إلى حد حذف مفردات أو عبارات أو حتى فقرات متتاليات، كما تبيته هذه الدراسة، حتى تجاوزت بعض حالات التصريف حدود المعقول بحذف فصل كامل من الترجمة، مثل حذف فصل رسالة فارسية من ترجمة عفيف البعلبكي (أسد، 1997). يطلق فرغل (2013) على حذف كهذا وصف 'الصمت' الذي "يمكن أن يحقق أهدافا أيديولوجية يعجز الكلام عن تحقيقها" (صفحة 19).

ورغم صعوبة اقتفاء هذا النوع من التصريف، إلا أنه يعكس موقف المترجم أو الجهة الراعية للترجمة، إزاء ثقافة مؤلف النص المصدر، أو موقفهم من قضية ما، أو عقيدة معينة، تضمنتها طيات النص المصدر، فتصبح أحيانا "المفاهيم الثقافية هدفا لنيران المترجم" (فرغل، صفحة 19). وإذا كان الأمر كذلك، فلا ينكشف التصريف في هذا المستوى بمقارنة النص المصدر والنص الهدف مقارنة أفقية؛ بل يجب أن تكون المقارنة والتحليل عموديا وأفقيا؛ فيرصد التحليل الأفقي مواضع التصريف وتكون غاية المقارنة والتحليل العمودي مراكبة هذه المواضع ومطابقتها ومقارنتها بغية الكشف عن الخط الأيديولوجي الذي تبناه المترجم والراعي والرقب وانعكاسه في الترجمة.

5. التصريف الأيديولوجي بين نظامي الرعاية والرقابة:

إن توسع دائرة اهتمام الباحثين في مجال الترجمة لتشمل مظاهر وظواهر غير لغوية، مكّن الباحثين من تسليط الضوء على دور الترجمة وأهميتها في بناء التصورات والمواقف إزاء مؤلف النص المصدر ثقافته. إن وقوع دراستنا هذه في نقطة التماس بين الترجمة والأيديولوجيا والرقابة، يحتم علينا التطرق لمفهوم الرعاية أيضا لمعرفة صلتها بالترجمة.

يُعتبر لوفيفر Lefevere من أوائل من طوّر مفهوم التصريف في الترجمة وأذاعه، وأعلى من مقام الترجمة بوصفها شكلا من أشكال إعادة الكتابة، التي تقوم، حسب لوفيفر (Lefevere 1992a)، على إمكانية التصريف في النص الهدف، ومن نتائجها تشكيل صورة جديدة عن النص المصدر في الثقافة الهدف. أساس التصريف عوامل ثلاثة: الرعاية

patronage، ونظام الشعرية poetics، والأيدولوجيا ideology (Lefevere, 1992a)، ويتجلى تأثير هذه العناصر على النصوص بشتى أنواعها، وفي الترجمة بالتصريف بهدف التماشي مع القيود السائدة. وما يهم في هذه الدراسة هو تبين تأثير الرعاية والأيدولوجيا، لأن المدونه وحالات التصريف قيد هذه الدراسة ليست ذات صلة بالبعد الجمالي.

تتمثل الرعاية في عمل أفراد لهم سلطة عامة بالإشراف على إنتاج الأدب وقراءته وإعادة كتابته، من ذوي النفوذ كالملوك والزعماء، فهم من يصدر التعليمات ويدفع الأجور ويبدل المكافآت، أو نشاط مؤسسات، مثل المؤسسات الدينية والسياسية والثقافية والتعليمية والرقابة ودور النشر والترجمة؛ وإذ هي مرتبطة بنظم السلطة والمصالح المتضاربة، فإنها تولي أهمية قصوى للأيدولوجيا في النصوص الأدبية وليس للمقومات الجمالية. أما نظام الشعرية فهو يحمل الأنساق الفنية السائدة في مجتمع معين في حقبة ما، تشمل الوسائل الأدبية والأجناس والموضوعات والشخصيات والأوضاع النموذجية والرموز. وأما الأيدولوجيا فتتقاطع مع العاملين السابقين؛ إذ إن الغالب أن يقيّد الرعاث المجال الأيدولوجي للمترجم لفرض توجهه أيدولوجي بعينه، انظر: لوفيفر (Lefevere, 1992b).

عملياً، يُضطرّ المختصون بإعادة الكتابة -ومنهم المترجمون- إلى التصريف، حتى تُوافق نصوصهم، التوجهات الأيدولوجية والنظم الشعرية السائدة (Lefevere, 1992a). ولهذه الاعتبارات، يمكننا القول بأن المترجم سلطة تصرفية على النص المصدر، ما يمكن من إنتاج ترجمة قد لا تتوافق بالضرورة مع مقاصد مؤلف النص المصدر؛ وبالتالي، فإن القرارات والخيارات الأيدولوجية، الشخصية أو التابعة من الجهة الراعية، قد تؤثر تأثيراً بالغاً على متلقي النص الأجنبي وتساهم في تشكيل صورة مختلفة عن المؤلف ونصه وثقافته.

يتقاطع مفهوم التصريف في النصوص وإعادة الكتابة، مع تصور بيلياني Billiani للرقابة، فهي (2007) ترى أيضاً أن التدخل الرقابي في الترجمة شكل من أشكال إعادة الكتابة، يهدف إلى التحكم في تدفق المعلومات وترشيحها. إضافة إلى هذا، فإن اعتبار الترجمة بوابة تمكن الثقافة الأجنبية من اقتحام الثقافة المحلية، وتتيح لصوت الآخر أن يبلغ مسامع القراء من الثقافة المحلية، جعل الترجمة أكثر عرضة لسطوة التدخل الرقابي (Sturge, 2004, as cited in Billiani, 2007). وبالتالي فإن الممارسات الرقابية نوع من أنواع التدبير الثقافي (Sherry, 2010)، وإن هذا التقاطع بين مفهوم إعادة الكتابة عند لوفيفر، وتصور بيلياني للرقابة، يثبت متانة الصلة القائمة بين نظم الرقابة والرعاية والأيدولوجيا تأثيرها على الترجمة.

إن ما يمكن استخلاصه مما سبق، هو إمكانية اعتبار التصريف الأيدولوجي آلية رقابية، وهو ما تهدف هذه الدراسة لإبرازه؛ فإن كان عن وعي من المترجم ودون تلقي تعليمات من أي جهة أو فرد، فإنه من الممكن وضع هذا النوع من التصريف في خانة الرقابة الذاتية؛ وإن كان وفقاً لتعليمات صادرة من فاعل أو فاعلين يتمتعون بسلطة على المترجم، فإنه هذا ما يمكن اعتباره من قبيل الرقابة الوقائية.

6. التصريف الأيديولوجي في كتاب "الطريق إلى مكة" "The Road to Makkah":

تبين الدراسة المقارنة أنّ ترجمتي هذا الكتاب تعجّان بالتصريف الإيديولوجي على المستوى المعجمي والمستوى التركيبي والمستوى الثقافي والخطابي. وما ركّزنا عليه هو إيضاح مدى انتصار الرقابة بالتصريف الأيديولوجي فيهما، الذي يتجلّى خاصّة عند مقارنة طبعة الرياض وطبعة بغداد لترجمة السيد علي.

1.6 التصريف الأيديولوجي على المستوى المعجمي:

تنضوي التّرجماتان على حالات عديدة تعكس خيارات متباينة مسّت مفردات وعبارات وأسماء أعلام، عكست توجهات أيديولوجية مختلفة مقارنة بالنّصّ المصدر. ركّزنا في هذه الدّراسة على تلك الحالات التي لا ينتاب الباحث والقارئ شكّ في وجود دوافع أيديولوجيّة وأسباب رقابيّة، مثلما سنعرض في النموذجين [1] و [2].

[1] Ibn Saud at last felt strong enough to attempt the conquest of the province of Al-Hasa on the Persian Gulf (p. 175)

[1] شعر ابن سعود أخيراً بأنه كان يملك القدرة الكافية على غزو منطقة الأحساء على الخليج الفارسي (صفحة

179)

[1] وجد ابن سعود أنه قد أصبح قويا بما يمكنه من استعادة منطقة "الحسا" على الخليج الفارسي (صفحة

267)

[1] وجد الملك عبد العزيز أنه قد أصبح قويا بما يمكنه من استعادة منطقة "الأحساء" على الخليج العربي

(صفحة 267)

التعليق: تبين لنا من خلال قراءة النّصّ الأصليّ أنّ المؤلف استعمل اسم العلم Persian Gulf للإشارة إلى

المسطح المائي الواقع غرب إيران وشرق الجزيرة العربية دون غيره من التسميات العديدة والتي من أشهرها Arabian Gulf، وهناك تسميات عدّة عرفت عبر مختلف الحقب ولكن زالت من الاستعمال، حيث يفضّل العرب التسمية العربية الخليج العربي. فلا غرابة في اختيار المؤلف التسمية الفارسية والتي لا تنم، على الأرجح، عن أي توجه أيديولوجي أو سياسيّ لأنّها التسمية التي كانت الأكثر شيوعاً، على الأقل إلى غاية النّصف الثاني من القرن العشرين. وإذ أبقى البعلبكي

[1] على التسمية الفارسيّة، وكذلك جاء في ترجمة رفعت السيّد عليّ في طبعة بغداد [1]، وُظفت التسمية العربية في

طبعة الرياض [1]. يعكس اختيار التسمية العربية موقفاً سياسياً وأيديولوجياً واضحاً، وهو نتيجة لرغبة دول الخليج

خاصّة ودول عربية أخرى إلى تعميم التسمية العربيّة. قد يبدو الأمر مجرد نزاع على اختيار تسمية دون غيرها ولكن الأمر

ناتج عن خلاف بين دول الخليج وإيران في صراعهم على الصعيد السياسيّ والقوميّ والاستراتيجيّ، بغرض الهيمنة على

الخليج ومياهه وموارده وأمنه. وهنا يظهر دور الرّقيب وراعي التّرجمة، مؤسسة التراث، في هذا التّصريف، والتي لا يمكن

معرفة ما إذا كان بإرادة المترجم ورضاه أم عكس ذلك. ما يجليّ دور الرّقيب هو توظيف التسمية العربيّة في جميع المواضع

في طبعة الرياض بينما حافظت طبعة بغداد على التسمية الفارسيّة.

[2] Except for a Negro servant richly dressed in brocade, with a golden dagger in his belt, (p. 110)

[2] باستثناء خادم زنجي يرتدي ثوبا من نسيج حريري موشى وفي منطقتة خنجر (صفحة 120)

[2] لم يكن بالخميمة أحد - باستثناء خادم أسود يرتدي زيا مقصبا ويضع خنجرا في حزامه (صفحة 171)

[2] لم يكن بالخميمة أحد - باستثناء خادم أسمر يرتدي زيا مقصبا ويضع خنجرا في حزامه (صفحة 171)

التعليق: ليس لكلمة negro في اللغة الإنجليزية دلالة ثابتة، فقد تكون عنصريّة أو محايدة حسب السياق. ظلّت هي الكلمة المعيارية للإشارة إلى السّود، حتّى بداية النّصف الثاني من القرن العشرين، حين تمّ اعتماد كلمة black بدلا عنها ولحقت بكلمة negro دلالة سلبية عنصريّة (Lexico, n.d.). حين نشر محمد أسد كتابه هذا سنة 1953، كانت هذه الكلمة لا تزال متداولة بدلالاتها الحياديّة المعيارية. إنّ ما يلفت الإنتباه هو اختلاف مقابلاتها الواردة في التّرجمتين. إذ اختار البعلبكي [2] صفة زنجي، واختار رفعت السيّد عليّ صفة أسود في طبعة بغداد [2]، وهتان الصفتان لا تحمّلان دلالة عنصريّة، ولا نجد في الثّقافة العربيّة تلك النّظرة العنصريّة، مثلما يوجد في الثّقافة الغربيّة. بينما جاء في طبعة الرياض [2] صفة أسمر، دون سبب واضح، لكن على الأرجح أن يكون هذا التّصرّف، بسبب حرص زائد على تجنب ما قد يصدّم أو يجرّح مشاعر فئة ما من القراء بإثارة نبرة عنصريّة. وليس من المستبعد كذلك أن يكون هذا الاختيار تحاشيا لإعطاء صورة عن المؤلّف غير التي له، لدى قراء التّرجمة.

2.6 التّصرّف الأيديولوجي على المستوى التركيبي:

يستعصي أحيانا التّصرّف الأيديولوجي على هذا المستوى الاكتشاف والتحليل، مقارنة بالتّصرّف على المستوى المعجمي، لأنّ التراكيب في اللغة لا تحمل شحنة أيديولوجيّة، مثلما قد يكون في مفردات وأسماء أعلام. شملت التّرجمتان حالات تصرّف من هذا النوع، مثلما يظهر في التّمودجين [3] و [4].

[3] The spiritual presence of Abraham is always felt in Arabia, as in the whole Muslim world, (p. 353)

[3] إن المرء ليحس دائما بوجود إبراهيم روحياً، في بلاد العرب وفي جميع أقطار العالم الإسلامي، . . . (صفحة

294)

[3] . . . لا تحس بالحضور الروحي القوي لإبراهيم إلا في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي. (صفحة 224)

[3] لا تشعر بالحضور الروحي القوي لإبراهيم إلا في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي. (صفحة 476)

التعليق: يظهر في التّمودج أعلاه تصرّف أيديولوجي على المستوى التركيبي، من خلال توظيف أسلوب الحصر في ترجمة رفعت السيّد عليّ في كلتا الطبعتين [3] و [3]. فبهذا الأسلوب يفهم أن الحضور الروحي لإبراهيم عليه السلام في الثّقافة العربيّة والإسلامية فقط، وهذا خلاف ما لا خلاف فيه بأنّ إبراهيم قدرا عظيما ورمزيّة كبيرة لدى اليهود والنصارى والمسلمين وحتّى عرب زمن الجاهليّة. فهو أبو العبرانيّين في اعتقاد اليهود، نسله من إسحاق عليه السلام. ويؤمن العرب المشركون قبل الإسلام أنّهم نسله من إسماعيل عليه السلام ويحجّون البيت الذي بناه إبراهيم. ويدّعي

التصاري بأهم على ديانتته. وهكذا يجتمع اليهود والعرب في نسبهم لإبراهيم. وردت قصة إبراهيم في سفر التكوين من العهد القديم. لكن آي القرآن جاءت لتدحض مزاعم اليهود والتصاري والمشركون، وأقرت أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً، ولم يك يهودياً ولا نصرانياً ولا من المشركون.

إن عدم تصحيح هذا التصريف في طبعة الرياض [3] أمر مستغرب. زيادة على هذا تضمنت ترجمة رفعت السيد عليّ زيادة صفة القوي لوصف حضور إبراهيم الروحي، مع غياب أي ظرف زمان يقابل أو يكافئ الظرف always توكيدا على هذا الحضور وقيمة هذه الشخصية في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي برمته. بينما كانت ترجمة البعلبكي مطابقة للأصل [3]، عدا إضافة أداة التوكيد إن ولام التوكيد في الفعل ليحس.

وبالتالي يتضح لنا أن في ترجمة رفعت السيد عليّ تشويه لقصد المؤلف بحصر حضور إبراهيم عليه السلام في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي ونفي حضوره عند غيرهم من القوميات والشرائع. إنه لمن الممكن تفسير عدم تصحيح هذا الخطأ في طبعة الرياض [3] بعدم رجوع راعي الترجمة أو الرقيب إلى النص الأصلي. هذا الاستغراب لثلاثة أسباب على الأقل: أولاً- رعاية مؤسسة حكومية سعودية للترجمة، فهذه الدولة تتبني محاربة العقائد الباطلة ونشر عقيدة التوحيد الصحيحة، وثانياً- لا يعقل أن يتبنى المؤلف ذو الأصول اليهودية هذا الرأي، وثالثاً- وجود تصرفات أخرى في مواضع كثيرة أقل أهمية من هذا الموضوع، مثلما في النموذج [2].

[4] Such reasoning has always been the curse of Arabian history: none will admit that another is better than he (p. 224)

[4] هذا التفكير، كان ولا يزال، لعنة التاريخ العربي : فليس من أحد يقر بأن هناك من يفضلُه. (صفحة

216)

[4] مثل ذلك التفكير كان لعنة في تاريخ العرب : فلم يكن أي منهم يعترف أن غيره من الممكن أن يكون أفضل منه. (صفحة 338)

[4] مثل ذلك التفكير كان لعنة في تاريخ العرب : فلم يكن أي منهم يعترف أن غيره من الممكن أن يكون أفضل منه. (صفحة 312)

التعليق: من خلال مقارنة النص المصدر بالترجمتين في هذا النموذج، يتبين كيف لتصريف يبدو بسيطاً أن يؤثر على المعنى بشكل بالغ. فنلاحظ في النص الأصلي استعمال المؤلف لأداة التعريف the والتي تفيد التعيين، بمعنى أن الصفة السلبية التي يقصدها المؤلف هي بالتحديد اللعنة التي عانى منها العرب ولا يزالون كذلك، بينما جاءت ترجمة رفعت السيد عليّ، في كلتا الطبعتين [4] و[4]، بصيغة النكرة التي أدت غرض التقليل، بمعنى أن تلك الصفة السيئة هي واحدة من بين غيرها من الصفات، فيتصور قارئ هذه الترجمة، على عكس المعنى في النص المصدر، أن هذه الصفة ليست بذلك القدر. فأثر هذا التصريف صغير الحجم إلى التقليل من جسامته هذه الصفة، حسب النص المصدر، حيث يراها المؤلف سبباً في حدوث انتكاسة حضارية.

بالإضافة إلى التقليل من أهمية تلك الصفة، نجد في ترجمة رفعت السيد عليّ [4^١] و[4^٢], تصرفاً يبدو بسيطاً لكنه ينضوي على حركة أيديولوجية ملفتة للنظر. هذا التصرف طال الفعل to be الذي جاء في الزمن المضارع التام المستمر، يوظف للدلالة على فعل بدأ في الماضي مستمر في الوقت الحاضر. كما أكد المؤلف على استمرار تلك الصفة بإضافة ظرف الزمان always؛ يعني هذا أن الصفة السيئة تلك كانت اللعنة في تاريخ العرب ولا تزال إلى يوم كتب المؤلف هذه الكلمات. لكنّ ترجمة رفعت السيد عليّ [4^٣] و[4^٤], قلّت من شأن تلك الصفة بتوظيف الفعل الماضي الناقص وتجريد الترجمة من نبرة التوكيد. فحتّى لو افترضنا أن الفعل الناقص يفيد اتصاف المسند إليه بالمسند، في الماضي ويستمر إلى الحاضر، كما يذكر النحاة، لا نجد أنّ ترجمة الجملة الشارحة في النصّ الأصليّ التي جاء فعلها في زمن المستقبل البسيط none will admit، الذي يدل في اللغة الإنجليزية على التوقع أو التكهن لا على اليقين، بالفعل الناقص أيضاً، ما لم يدع مجالاً للشك في وجود تصرف أيديولوجي مقصود. بينما جاءت ترجمة البعلبكي [4^٥] محكمة غير مبهمة لا تحتمل قراءة تخالف مقصود الكاتب، إذ حافظت على استمرار هذه الصفة السيئة، وجاءت كلمة لعنة معروفة بإضافتها إلى الاسم التاريخ، إضافة إلى الجملة الشارحة التي جاء فعلها في المضارع، فلا يتسلّل تأويل مختلف عمّا أراده المؤلف إلى فهم قارئ الترجمة.

3.6 التصرف الأيديولوجي على المستوى الثقافي والخطابي:

إنّ حالات التصرف الأيديولوجي على المستوى الثقافي والخطابي جمّة في هذه المدونة. ومما تجدر الإشارة إليه هو أنّ التحليل الأفقي للترجمتين ومقارنتهما بالأصل لا يُجزئ؛ إذ لا بدّ من البحث عن قرائن أخرى من الترجمة نفسها للحصول على نتائج دقيقة واتخاذ أحكام موضوعية، ومن بين أهمّ الملاحظات المسجّلة في أثناء التحليل هو أنّ التصرف في هذا المستوى يلتبس أحياناً مع التصرف على المستويين المعجمي والتركيبّي، لذلك يجدر بنا في مثل هذه الحالات القيام بقراءة معمّقة للترجمة والنصّ المصدر، مثلما سنرى في النموذجين التاليين [5] و[6].

[5] The climax of Ibn Sand's expansion came in 1924-1925, when he conquered the Hijaz, including Mecca, Medina and Jidda, and expelled the Sharifian dynasty which had come to power there after Sharif Husayn's British supported revolt against the Turks in 1916. It was with the conquest of this Holy Land of Islam that Ibn Saud now forty-five years old, fully emerged into the view of the outer world. (p. 176-177)

[5^١] بلغ توسع ابن سعود الذروة في ١٩٢٤-١٩٢٥ عندما فتح الحجاز، بما فيه مكة والمدينة وجدة، وأخرج عائلة الشريف التي كانت قد استولت على الحكم هناك بعد ثورة الشريف حسين الأتراك [sic] في عام ١٣٣٤ بمعاوضة الإنكليز. وباستيلائه على هذه الأرض المقدسة، وأظهر [sic] ابن سعود ظهوراً كاملاً أمام أنظار العالم الخارجي، وكان عندئذ في الخامسة والأربعين من العمر. (صفحة 180)

[5^٢] أما قمة توسعات ابن سعود فقد حدثت في 1924-1925، حين غزا الحجاز، بما فيها من مدن، مكة والمدينة وجدة، وطرد أسرة الشريف حسين التي كانت قد استولت على السّلطة في الحجاز بعد ثورة الشريف حسين بدعم

بريطاني ضد السلطة التركية عام 1916، وبغزوه للأراضي المقدسة علا نجمه في العالم الخارجي، وكان قد بلغ في ذلك الوقت الخامسة والأربعين من عمره. (صفحة 269)

[5] أما قمة توسعات الملك عبد العزيز آل سعود فقد حدثت في ١٩٢٤-١٩٢٥ (1924-1925)، عندما دخل الحجاز، بما فيها من مدن، مكة المكرمة والمدينة المنورة و جدة، وأخرج أسرة الشريف حسين التي كانت قد استولت على السلطة في الحجاز بعد ثورة الشريف حسين بدعم بريطاني ضد السلطة التركية عام ١٩٣٤ (1916م)، وبدخوله للأراضي المقدسة علا نجمه في العالم الخارجي، وكان قد بلغ في ذلك الوقت الخامسة والأربعين من عمره. (صفحة 252-253)

التعليق: قد تبدو الترجمات الثلاث في هذا النموذج لا غبار عليها لغويا وأيديولوجيا. لكن القراءة المدققة تكشف عن التحول في الخط الأيديولوجي في كل من ترجمة البعلبكي [5] وترجمة رفعت السيد علي في طبعة الرياض [5]. يعد استعمال الاسم الكامل لابن سعود ومسبوقا بكلمة ملك في طبعة الرياض من أوضح حالات التصريف الأيديولوجي على المستوى الخطابي، فلم يحدث هذا في مواضع دون غيرها بل شمل الطبعة كلها، مما يؤكد تأثير نظامي الرقابة والرعاية خاصة وأن ترجمة رفعت السيد علي نفسها في طبعة منشورات الجمل [5] قد حافظت على الاسم ابن سعود، كما في النص المصدر.

ومن جهة أخرى، نلاحظ استعمال الفعل فَتَحَ في مقابل conquered، والفعل أَخْرَجَ في مقابل expelled في ترجمة البعلبكي [5]، وهو ما يُعد تصرفا يهدف إلى تحيُّب أي تعبير أو لفظة من شأنها أن تسيء إلى سمعة ابن سعود، فللفعل فَتَحَ دلالة إيجابية عند المسلمين لارتباطه بفتح الأمصار، وخاصة بفتح مكة، بعكس الفعلين اسْتُؤْلِيَ أو غَزَا اللذين يحملان دلالة سلبية ترتبط بالاستحواذ على أراضي الغير وما يصاحبه من إخضاع وقهر. إضافة إلى أن تحيُّب البعلبكي [5] للفعل طَرَدَ في مقابل expelled لدليل على انحراف في الخط الأيديولوجي، ليس في هذا الموضع حصرا، بل تكرر الأمر في مواضع كثيرة، كما يظهر جليا من خلال إسقاط فقرات كثيرة من هذه الترجمة، ذكر فيها المؤلف انتقادات عديدة لابن سعود. فعلى سبيل المثال جاء في النص الأصلي في الصفحة 177 أن ابن سعود لم يكن سوى ملكا مثل غيره من الحكام وأن الآمال بإحياء الفكرة الإسلامية بتأسيس دولة تعلو فيها روح القرآن والتي علقت بتوليته السلطة في فترة أحلك فترات التاريخ الإسلامي، قد ذهبت أدراج الرياح. لكن ترجمة البعلبكي [5] لم تذكر شيئا من تلك الانتقادات الصريحة، إذ تخطى المترجم حوالي صفتين.

أما ترجمة رفعت السيد علي في طبعة منشورات الجمل [5] فقد أظهرت التوجه الأيديولوجي ذاته كما في النص المصدر، دون حذف أو تصرف. لكن تم في طبعة الرياض [5] استبدال الفعلين غَزَا في مقابل conquered وطَرَدَ في مقابل expelled بالفعلين دَخَلَ وأَخْرَجَ، واستبدلت العبارة بِغَزَوْهُ في مقابل conquest بالعبارة بِدْخُولِهِ. لا تحمل هذه التغييرات دلالة سلبية، فالفعل الأول والعبارة يعطيان انطبعا بأن ذلك التوسع لم يكن باستعمال القوة والحرب، ويوحي الفعل الثاني بأن ابن سعود كان رحيمًا بأعداءه فلم يطردهم بل أخرجهم.

يتجلى هذا التوجه الأيديولوجي في طبعة الرياض من خلال الانتقائية في الإبقاء على ما فيه مدح وثناء على خصال ابن سعود الحسنة وحذف أي انتقاد ومثلية ولو بأبسط كلمة يُحتمل أن تشوّه سمعته، كما في هذا النموذج [5]، ففي الفقرات التي تلتها، حذفت الانتقادات كافةً وأعيدت صياغتها، مثلما يبيّنه النموذج [6].

[6] A good and just man in his personal affairs, loyal to his friends and supporters and generous toward his enemies, graced by intellectual gifts far above the level of most of his followers, Ibn Saud has, nevertheless, not displayed that breadth of vision and inspired leadership which was expected of him. True, he has established a condition of public security in his vast domains unequalled in Arab lands since the time of the early Caliphate a thousand years ago; but, unlike those early Caliphs, he accomplished this by means of harsh laws and punitive measures and not by inculcating in his people a sense of civic responsibility. (p. 177)

[6^١] كان ابن سعود كريماً وعادلاً في حياته الشخصية، وفيما لأصدقائه ومؤيديه كما كان كريماً إزاء أعدائه في نبل وشهامة، وهبه الله ذكاءً فطرياً [sic] فاق كثيراً ذكاء أقرانه وأتباعه، إلا أنه لم يظهر ما يدل على شمول الرؤية وإلهام القيادة التي توقعه منه كثيرون. لقد حقق بالفعل الأمن لكل شعبه في الأرجاء الشاسعة لبلاده لم يتحقق مثله في أي بلد عربي من عصر الخلفاء الراشدين المبكرين من ألف عام مضت، إلا أنه بعكس الخلفاء الراشدين، حقق ذلك الأمن بقوانين صارمة وعقوبات شديدة، لا بخلق الإحساس بالمسؤولية لدى أبناء شعبه (صفحة 270)

[6^٢] كان الملك عبد العزيز كريماً وعادلاً في حياته الشخصية، وفيما لأصدقائه ومؤيديه، كما كان كريماً إزاء أعدائه في نبل وشهامة، وهبه الله ذكاءً فطرياً فاق كثيراً ذكاء أقرانه وأتباعه. لقد حقق بالفعل الأمن لكل شعبه في الأرجاء الشاسعة لبلاده لم يتحقق مثله في أي بلد عربي من عصر الخلفاء الراشدين المبكرين من ألف عام مضت. (صفحة 253)

التعليق: يبدو واضحاً إخضاع ترجمة رفعت السيد عليّ في طبعة الرياض [6^٣] إلى تصرّف أيديولوجي على المستوى الخطابي والثقافي من خلال حذف كل الانتقادات التي جاءت في النصّ المصدر وفي طبعة منشورات الجمل [6]. هذا النموذج وغيره من المواضع الكثيرة كان بهدف حجب كل ما قد ينتقص من قيمة عبد العزيز آل سعود وعائلته، حتى بعد وفاته، ومهما بلغت تلك الانتقادات من موضوعية ومصادقية نظراً للصداقة والقرب اللذين جمعا المؤلف والملك. فحذف أجزاء من الترجمة وإعادة صياغة النصّ بدهاء في طبعة الرياض [6^٤]، ليبين أنّ مجرد السكوت يحقّق أهدافاً أيديولوجية تناقض تماماً أهداف النصّ المصدر. بينما نلاحظ أنّ البعلبكي لم يتحمّل حتى عناء إعادة الصياغة بعد حذف الانتقادات، بل تخطّى عدداً معتبراً من الفقرات التي تروي تفاصيل تاريخية مهمة وللغرض نفسه. إنّ هذه المقارنات بين النصّ المصدر والترجمات، مع أخذ العوامل غير النصّية في الحسبان، لا يظهر تأثير التوجهات الأيديولوجية المختلفة للمترجم فحسب، بل ينمّ عن وجود آليات رقابية وقائية ونظم رعاية تمارس الوصاية على الأفكار والحقائق.

وبذلك فإنّ ترجمة البعلبكي تمثّل صياغة قد تتلاءم مع أيديولوجية المترجم في حدّ ذاته، أو قد تكون نتيجة لإدراكه التّام للعواقب أو الحساسيّة المحتملة جرّاء نقل تلك المواقف والتّفاصيل الواردة في النّصّ الأصليّ إلى جمهور القراء العرب. من جهة أخرى نرى أنّه من الواضح أن إعادة صياغة ترجمة رفعت السيّد عليّ في طبعة الرياض [6^٣] تعكس الأيديولوجيّة التي يتبنّاها راعي التّرجمة أو الرّقيب وهي دون شكّ أيديولوجيا الفئة المهيمنة في ذلك المجتمع المتحكّمة في مؤسسات الدّولة الأيديولوجيّة والعقابيّة.

7. خاتمة:

عاجلنا في هذه البحث مسألة التصريف الأيديولوجي بوصفها آلية رقابية في التّرجمة، فهو ليس تصريفاً لأغراض لغويّة صرفة؛ بل نتيجة لدوافع كثيرة تتجلّى من معرفة مختلف السياقات غير اللّغويّة، التّاريخيّة، والسياسيّة والاجتماعيّة والدّينيّة وغيرها. إنّ خطّ التماسّ بين نظاميّ الرّقابة والرّعاية في التّرجمة هو الأيديولوجيا؛ إذ إنّها عامل أساسيّ ينعكس أثره فيما يطرأ على النّصّ من تغيير في الخطّ الأيديولوجي مقارنة بالنّصّ المصدر. تبين لنا من الدّراسة التحليلية المقارنة أنّ كتاب محمد أسد وترجمته حالة نموذجيّة بحقّ لتأثير نظامي الرّقابة والرّعاية على التّرجمة والقارئ الهدف. وهامي ذي أهمّ نتائجها:

- التصريف الأيديولوجي في التّرجمة وسيلة تمكّن الفاعلين من حرف الخطّ الأيديولوجي للنّصّ الهدف مقارنة بالنّصّ المصدر.

- بمقدور التصريف الأيديولوجي في مستوياته الثلاثة تحقيق أهداف لا تتوافق مع أهداف النّصّ المصدر، فالمتصريف يراهن على جهل القارئ بلغة النّصّ المصدر، وعلى سمعة المؤلّف والمترجم، ومصادقيّة وسلطة مؤسسات الدّولة الأيديولوجيّة الرّاعية لمشروع التّرجمة أو ذوي النّفوذ من الفئة المهيمنة في المجتمع.
- يمكن للتصريف أن يكون آلية رقابية لا من أجل حراسة القيم والأخلاق والأذواق فقط؛ بل أيضاً من أجل إخفاء الحقائق وتزييفها والتلاعب بالأفكار وممارسة الهيمنة الثقافيّة.
- يمكن لأصغر التصريفات حجماً إحداث تأثير بالغ على الخطّ الأيديولوجي للنّصّ الهدف.
- ليس للمترجم أمام المؤسسات الرقابية والرّعات اليد العليا في تحديد الأهداف، وضمان حياد التّرجمة، وهكذا يصبح التّحيز أمراً لا مناص منه.
- أمّا عن الرّقابة وأنواعها، وبعد تحليل النماذج ودراصة ظروف نشر التّرجميتين، أمكننا التّوصل إلى التّائج التّالية:

- تبين أنّ الرّقابة الوقائيّة أكثر الأنواع وضوحاً ووروداً، خاصّة عند مقارنة طبعتي ترجمة رفعت السيّد عليّ؛ لأنّه قد بدى جلياً أنّ الطّبعة التي نشرت أولاً في الرياض بإشراف مؤسستين حكوميّتين، تعجّ بالتصريف الأيديولوجي، وهو ما يعكس أيديولوجيّة الفاعلين، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

- ليس للرقابة العقابيّة أثر مباشر وظاهر على النّصوص. فما توصّلنا إليه، من خلال اطلاعنا على ظروف نشر ترجمة رفعت السيّد عليّ مرّة ثانية، حسب مصادر صحفّية (انظر: الهطلائي، 2008)، هو أنّ المترجم قد انتهك حقوق النّشر ببيع حقوق التّرجمة للمجلس الأعلى للثقافة بمصر، لكنّ الطّبعة المصريّة سرعان ما سُحِبَت بطلب من مؤسّسة التّراث بالريّاض. ورغم محاولتنا مراسلة المجلس الأعلى للثقافة بمصر ودار منشورات الجمل⁴، لم نلتق أيّ ردّ. وهذا ما يمكن اعتباره دليلا على وجود حيثيّات لا يُسمح بخروجها إلى العلن.

- يصعب في تقديرنا التّحقّق وتحليل الرّقابة الذاتيّة، إذا استحال التّواصل مع المترجم نفسه للاستفسار عن أسباب التّصرّف وغاياته، أو إذا استحال الحصول على معلومات كافية عن السّياقات التاريخيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة التي أنجزت فيها التّرجمة، أو إذا تعذّر التّحقّق من معتقدات المترجم وأيديولوجيّته لمقارنتها بالخطّ الأيديولوجي للنّصّين المصدر والهدف، وهذه بعض من العوامل غير النّصّية التي تساعد في تمييز حالات الرّقابة الذاتيّة عن الرّقابة الوقائيّة.

ختاما، وبما أنّ المدوّنة ليست مجرد عمل أدبيّ وفكريّ فحسب؛ بل هي بحقّ وثيقة تاريخيّة مهمّة، لأنّ المؤلّف محمد أسد روى بين دفتيه تفاصيل كثيرة لأحداث وأماكن وشخصيّات كثيرة ومهمّة من صدر القرن العشرين، وهي واحدة من أكثر المراحل حساسيّة وأهميّة في تاريخ الأمة الإسلاميّة والعربيّة المعاصر، رأينا وجود حاجة مُلحّة لدراسة مسائل تتعلّق بترجمة النّصوص التاريخيّة من منظور أيديولوجي، كما هذه الدّراسة.

⁴ انظر: الملحق.

8. المراجع:

Asad, M. (2004). *The Road to Makkah*. Ismamic Book Service.

أسد، م. (1997). *الطريق إلى الإسلام*. (ترجمة ع. البعلبكي). مكتبة العبيكان.

Asad, M. (1997). *al-ṭarīq ilá al-Islām*. (tarjamat ‘A. al-Ba‘labakkī). Maktabat al-‘Ubaykān.

أسد، م. (2004). *الطريق إلى الإسلام*. (ترجمة ر. السيد علي). مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

Asad, M. (2004). *al-ṭarīq ilá al-Islām*. (tarjamat R. al-Sayyid ‘Alī). Maktabat al-Malik ‘Abd al-‘Azīz al-‘Āmmah.

أسد، م. (2010). *الطريق إلى الإسلام*. (ترجمة السيد علي). منشورات الجمل.

Asad, M. (2010). *al-ṭarīq ilá al-Islām*. (tarjamat al-Sayyid ‘Alī). Manshūrāt al-Jamal.

الشنقيطي، م. (2016). *خيرة العقول المسلمة في القرن العشرين*. الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

al-Shinqīṭī, M. (2016). *Khayrah al-‘uqūl al-Muslimah fī al-qarn al-‘ishrīn*. al-Shabakah al-‘Arabīyah lil-Abhāth wa-al-Nashr.

عطية، ش.ع.أ.، حسين، أ.ح.، حلمي، ج.م.، والنجار، ع.أ. (محررون). (2005). *المعجم الوسيط*. مكتبة الشروق الدولية.

‘Aṭīyah, Sh. ‘A. U., Ḥusayn, U. H., Ḥilmī, J. M., wālnjār, ‘A. U. (muḥarrirūn). (2005). *al-Mu‘jam al-Wasīṭ*. Maktabat al-Shurūq al-Dawlīyah.

فرغل، م. (2013). *التصريف الإيديولوجي في الترجمة: مصطلحا ومفهوما*. في فرغل، م. والمناع، ع. (تحرير)، *الترجمة: بين تجليات اللغة وفاعلية الثقافة*. (ص ص 1-29). منشورات الاختلاف.

Farghal, M. (2013). *al-taṣarruf al-aydiyūlūjī fī al-tarjamah : muṣṭalaḥan wa-mafhūmā*. fī Farghal, M. wālmnā‘, ‘A. (taḥrīr), *al-tarjamah : bayna Tajallīyāt al-lughah wa-fā‘iliyat al-Thaqāfah*. (Ş ş1-29). Manshūrāt al-Ikhtilāf.

Althusser, L. (1971). *Lenin and Philosophy and Other Essays* (B. Brewster (trans.)). Monthly Review.

Belsey, C. (2002). *Critical Practice* (2nd ed.). Routledge.

Blium, A. V. (2008). *Kak eto delalos’ v Leningrade: Tsenzura v gody Otteperi, Zastoia i Perestroiki*. Akademicheskii proekt.

Bourdieu, P. (1979). *La Distinction: Critique Sociale du Jugement*. Les Editions Minuit.

- Bourdieu, P. (1991). *Language and Symbolic Power* (J. B. Thompson (ed.); G. Raymond & M. Adamson (trans.)). Polity Press.
- Brownlie, S. (2014). Examining Self-censorship: Zola's Nana in English Translation. In F. Billiani (Ed.), *Modes of Censorship and Translation: National Contexts and Diverse Media* (pp. 205–234). Routledge.
- Burt, R. (1994). Introduction. In R. Burt (Ed.), *The Administration of Aesthetics* (pp. xi–xxix). University of Minnesota Press.
- Coetzee, J. M. (1996). *Giving Offense: Essays on Censorship*. The University of Chicago Press.
- Díaz Cintas, J. (2012). Clearing the Smoke to See the Screen: Ideological Manipulation in Audiovisual Translation. *Meta*, 57(2), 279–293. <https://doi.org/10.7202/1013945ar>
- Edgar, A. (2006). *Habermas: The Key Concepts*. Routledge.
- Fairclough, N. (1989). *Language and Power*. Longman.
- Farghal, M. (1993). Managing in Translation : A Theoretical Model. *Meta*, 38(2), 257–267. <https://doi.org/10.7202/002721ar>
- Farghal, M. (2008). Extrinsic Managing : an Epitaph to Translational Ideological Moves. *Sayyab Translation Journal (STJ)*, 1, 1–26.
- Farghal, M. (2012). *Advanced Issues in Arabic-English Translation Studies*. Kuwait University Press.
- Foucault, M. (1980). *Power/Knowledge: Selected Interviews & Other Writings 1972-1977* (C. Gordon (ed. & trans.)). Pantheon Books.
- Foucault, M. (1982). The Subject and Power. In *Critical Inquiry* (pp. 777–795). University of Chicago Press.
- Green, J., & Karolides, N. J. (2005). *Encyclopedia of Censorship*. FactOnFile, Inc.
- Hatim, B. (1997). *Communication Across Cultures: Translation Theory and Contrastive Text Linguistics*. University of Exeter Press.
- Hatim, B., & Mason, I. (1990). *Discourse and the Translator*. Longman.
- Hatim, B., & Mason, I. (1997). *The Translator as Communicator*. Routledge.
- Lefevere, A. (1992a). *Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame*. Routledge.
- Lefevere, A. (1992b). *Translation/History/Culture*. Routledge.
- Liu, L. H. (1995). *Translingual Practice: Literature, National Culture, and Translated Modernity-China, 1900-1937*. Stanford University Press.
- Müller, B. (2004). Censorship and Cultural Regulation: Mapping the Territory. In B.

- Müller (Ed.), *Censorship & Cultural Regulation in the Modern Age* (pp. 1–32). Rodopi.
- Sherry, S. (2010). Censorship in Translation in the Soviet Union : The Manipulative Rewriting of Howard Fast's Novel *The Passion of Sacco and Vanzetti*. *Slavonica*, 16(1), 1–14. <https://doi.org/10.1179/136174210X12639903087016>
- Steffensen, K. N. (2012). BBC English with an Accent: “African” and “Asian” Accents and the Translation of Culture in British Broadcasting. *Meta*, 57(2), 510–527. <https://doi.org/10.7202/1013959ar>
- Sturge, K. (2004). *The Alien Within. Translation into German during the Nazi Regime*. Iudicium.
- The Merriam-Webster Dictionary*. (2004). Merriam-Webster, Incorporated.
- Thompson, J. B. (1984). *Studies in the Theory of Ideology*. University of California Press.
- Thompson, J. B. (1987). Language and Ideology : a Framework for Analysis. *The Sociological Review*, 36(3), 516–536. <https://doi.org/https://doi.org/10.1111/j.1467-954X.1987.tb00554.x>
- Tymoczko, M., & Gentzler, E. (2002). Introduction. In M. Tymoczko & E. Gentzler (Eds.), *Translation and Power* (pp. xi–xxviii). University of Massachusetts Press.
- van Dijk, T. A. (1996). Discourse, Opinions and Ideologies. In C. Schäffner & H. Kelly-Holmes (Eds.), *Discourse and Ideologies* (pp. 7–37). Multilingual Matters.
- van Dijk, T. A. (2002). Political discourse and ideology. [www.discourses.org/OldArticles/Political Discourse and Ideology.pdf](http://www.discourses.org/OldArticles/Political%20Discourse%20and%20Ideology.pdf)
- van Dijk, T. A. (2006). Ideology and discourse analysis. *Journal of Political Ideologies*, 11(2), 115–140. <https://doi.org/10.1080/13569310600687908>

الهطلائي، إ. (2008، أغسطس 10). الطريق إلى مكة يحرف في مكة [مقال صحفي]. ميدل إيست أونلاين. تم الاسترجاع من موقع

<https://middle-east-online.com/>

الطريق - إلى - مكة - يُحرف - في - مك

al-Haṭalānī, I. (2008, Aghuṣṭus 10). al-ṭarīq ilā Makkah yḥrf fī Makkah] maqāl ṣuḥufī [. mydl ist awnlāyn. tamma alāstrjā‘ min Mawqi‘ :

<https://middle-east-online.com/>

Anastaplo, G. (n.d.). *Censorship*. Retrieved June 8, 2020 from
<https://www.britannica.com/topic/censorship>

Lexico. (n.d.). *Negro*. Retrieved March 16, 2022, from
<https://www.lexico.com/definition/negro>

9. الملاحق:

1.9 الرسالة الإلكترونية الموجهة إلى دار منشورات الجمل بتاريخ 10 مارس 2022:

khelil cherfi farouk - استفسار حول كتاب الطريق إلى مكة لمحمد أسد

https://mail.univ-medea.dz/owa/#viewmodel=ReadMessageItem&Ite...

استفسار حول كتاب الطريق إلى مكة لمحمد أسد

khelil cherfi farouk

jeu. 10/03/2022 10:25

À:alkamel.verlag@gmail.com <alkamel.verlag@gmail.com>;

السلام عليكم ورحمة الله.

أولاً أعرف بنفسني. اسمي فاروق خليل الشرفي، أستاذ باحث بجامعة المدية، الجزائر. أنا أعد رسالة دكتوراه في الترجمة وأعمل على ترجمة كتاب الطريق إلى مكة لمحمد أسد وترجمته إلى العربية.

قرأت عما حصل بين مؤسسة التراث ومكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالرياض والمجلس الأعلى للثقافة بمصر، بشأن نشر هذا الأخير ترجمة رفعت السيد علي دون إذن مؤسسة التراث. لكنني لم أتمكن من الحصول على الطبعة التي نشرها المجلس الأعلى للثقافة بسبب سحبها من السوق. ثم حصلت على الترجمة التي نشرتها منشورات الجمل، سنة 2010، الطبعة الأولى.

لي بعض الأسئلة وأمل أن تتكرموا بالإجابة عنها أو أن تدلوني على من يمكنه ذلك، وستكون أجوبتكم مهمة لبحثي، من أجل الحصول على نتائج أكثر موضوعية.

أولاً: هل الترجمة التي نشرتها منشورات الجمل مطابقة للترجمة التي نشرها المجلس الأعلى للثقافة؟
ثانياً: هل التصريف والتحريف الذي تعرضت له ترجمة رفعت السيد علي في طبعة الرياض كان بعلمه أو كان ذلك خارجاً عن إرادته؟

ثالثاً: ما سبب نشر المترجم رفعت السيد علي ترجمته دون إذن من مؤسسة التراث؟ هل كان ذلك ردة فعل بسبب التحريف الذي طال ترجمته؟

رابعاً: هل كانت فعلاً هناك إجراءات قضائية في حق المترجم أو المجلس الأعلى للثقافة؟ وما كانت نتائجها؟
خامساً: كيف يمكن التواصل مع المترجم رفعت السيد علي؟

تحياتي الخالصة،

فاروق خليل الشرفي

أستاذ باحث - جامعة المدية - الجزائر

2.9 الرسالة الإلكترونية الموجهة إلى المجلس الأعلى للثقافة بمصر بتاريخ 18 أبريل 2022:

khelil cherfi farouk - استفسار بشأن كتاب الطريق إلى مكة لمحمد أسيد

<https://mail.univ-medea.dz/owa/#viewmodel=ReadMessageItem&Ite...>

استفسار بشأن كتاب الطريق إلى مكة لمحمد أسيد

khelil cherfi farouk

lun. 18/04/2022 16:06

À: scc@scc.gov.eg <scc@scc.gov.eg>;

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
رمضان مبارك.

أولاً أعرف بنفسني. اسمي فاروق خليل الشرفي، أستاذ باحث بجامعة المديّة، بالجزائر.
أنا أعد بحثاً علمياً في حول الترجمة والرقابة. يمثل كتاب الطريق إلى مكة لمحمد أسد، ترجمة رفعت السيد علي، المدونة الرئيسية التي أشتغل عليها، إضافة إلى مؤلفات أخرى.

قرأت عمّا حصل بين مؤسسة التراث ومكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالرياض والمجلس الأعلى للثقافة بمصر. لم أتمكن من الحصول على الطبعة التي نشرها مجلسكم المحترم بسبب سحبها من السوق. لكن حصلت على الطبعة التي نشرتها منشورات الجميل، سنة 2010 (الطبعة الأولى).

عندي بعض الأسئلة التي أرجو أن تتكرموا بالإجابة عنها، أو عن بعضها، أو أن تدلوني على من يمكنه ذلك، وستكون أجوبتكم مهمة لبحثي، من أجل الحصول على نتائج أكثر موضوعية ودقة.

أولاً: هل الترجمة التي نشرتها منشورات الجميل مطابقة للترجمة التي نشرها المجلس الأعلى للثقافة؟

ثانياً: هل التصرف والتحريف الذي تعرضت له ترجمة رفعت السيد علي في طبعة الرياض كان بعلمه أو كان ذلك خارجاً عن إرادته؟

ثالثاً: هل كان إقدام المترجم رفعت السيد علي على نشر ترجمته بواسطة المجلس الأعلى للثقافة كردة فعل بسبب التحريف الذي طال ترجمته؟

رابعاً: هل كانت فعلاً هناك إجراءات قضائية في حق المترجم أو المجلس الأعلى للثقافة؟

تقبلوا تحياتي الخالصة،

فاروق خليل الشرفي

أستاذ باحث، كلية الآداب واللغات، جامعة المديّة، الجزائر